

تفسير البحر المحيط

@ 620 @ انعكس شعاع بصره منها إلى عالم الجلال ، وبالجوارح ، بأن تكون مستغرقة في الأعمال المأمور بها ، خالية عن الأعمال المنهي عنها . وعلى هذا الوجه ، سمى الله الصلاة ذكراً بقوله : { فَاسْأَلُوهُ إِنَّهُ لَیْ ذِکْرٌ لِّلَّهِ } . انتهى . وقالوا : الذكر هو تنبيه القلب للمذكور والתיقظ له ، وأطلق على اللسان لدلالته على ذلك . ولما كثر إطلاقه عليه ، صار هو السابق إلى الفهم . فالذكر باللسان سريٌّ وجهريٌّ ، والذكر بالقلب دائم ومتحلل ، وبهما أيضاً دائم ومتحلل . فباللسان ذكر عامة المؤمنين ، وهو أدنى مراتب الذكر ، وقد سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ذكراً) . خرج ابن ماجة أن أعرابياً قال : يا رسول الله ، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ ، فأنبئني منها بشيء أتشبه به ، قال : (لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله) ، وخرج أيضاً قال : (يقول الله تعالى أنا مع عبدي إذا هو ذكرني وتحركت بي شفتاه) . وسئل أبو عثمان ، فقل له : نذكر الله ولا نجد في قلوبنا حلاوة ، فقال : احمداً الله على أن زين جارحة من جوارحك بطاعته ، وبالقلب هو ذكر العارفين وخواص المؤمنين ، وقد سماه النبي صلى الله عليه وسلم (ذكراً) ، ومعناه استقرار الذكر فيه حتى لا يخطر فيه غير المذكور : قال الشاعر : % (سواك ببالي لا يخطر % . إذا ما نسيتك من أذكر . %) .

وبهما : هو ذكر خواص المؤمنين ، وهذه ثلاث المقامات ، أدومها أفضلها . انتهى . . وقد طال بنا الكلام في هذه الجملة ، وتركنا أشياء مما ذكره الناس ، وهذه التقييدات والتفسيرات التي فسر بها الذکران ، لا يدل اللفظ على شيء منها ، وينبغي أن يحمل ذلك من المفسرين له على سبيل التمثيل وجواز أن يكون المراد . وأما دلالة اللفظ فهي طلب مطلق الذكر ، والذي يتبادر إليه الذهن هو الذكر اللساني . والذكر اللساني لا يكون ذكر لفظ الجلالة مفرداً من غير إسناد ، بل لا بدّ من إسناد ، وأولها الأذکار المروية في الآثار ، والمشار إليها في القرآن . وقد جاء الترغيب في ذكر جملة منها ، والوعد على ذكرها بالثواب الجزيل . وتلك الأذکار تتضمن : الثناء على الله ، والحمد له ، والمدح لجلاله ، والتماس الخير من عنده . فعبر عن ذلك بالذكر ، وأمر العبد به ، فكأنه قيل : عظموا الله ، وأثنوا عليه بالألفاظ الدالة على ذلك . وسمى الثواب المترتب على ذلك ذكراً ، فقال : فاذكروني أذكركم على سبيل المقابلة ، لما كان نتيجة الذكر وناشئاً عنه سماه ذكراً . { وَاشْكُرُواْ لِلّٰهِ } تقدّم تفسير الشكر ، وعداه هنا باللام ، وكذلك { أَلَمْ يَشْكُرُواْ لِلّٰهِ

وَلِوَالِدَيْكَ } ، وهو من الأفعال التي ذكر أنها تارة تتعدّى بحرف جر ، وتارة تتعدّى بنفسها ، كما قال عمرو بن لجااء التميمي : % (هم جمعوا يؤسي ونعمي عليكم % .
فهلا شكرت القوم إذ لم تقابل .
%) .

وفي إثبات هذا النوع من الفعل ، وهو أن يكون يتعدّى تارة بنفسه ، وتارة بحرف جر ،
بحق الوضع فيهما خلاف . وقالوا : إذا قلت : شكرت لزيد ، فالتقدير : شكرت لزيد صنيعة ،
فجعلوه مما يتعدّى لواحد بحرف جر ولآخر بنفسه . ولذلك فسر الزمخشري هذا الموضع بقوله :
واشكروا لي ما أنعمت به عليكم . وقال ابن عطية : واشكروا لي ، واشكروني بمعنى واحد ،
ولي أفصح وأشهر مع الشكر ومعناه : نعمتي وأيادي ، وكذلك إذا قلت : شكرتك ، فالمعنى :